سورة الرعد

٤٤ - قوله تعالى : ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ ﴿٤﴾ ﴾

القراءة : اختلف القُرّاء في التاء والياء . قوله تعالى : " يسقى بماء واحد " فقرأ ابن كثير، ونافع ، وأبو عمرو وحمزة والكسائي " تُسْقَى " بالتاء على التأنيث ، وقرأ عاصم ، وابن عامر ، ويعقوب " يُسْقَى " بالياء على التذكير.[1] وقد رُوي بأن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ " تُسْقَى " بالتاء . فقد روى الحاكم بإسناد ضعيف فقال : أخبرني الحسين بن علي التميمي ، ثنا أبو العباس أحمد بن محمد ، ثنا هارون بن حاتم ، أنبأ عبد الرحمن بن أبي حماد ، حدّثني إسحاق بن يوسف ، عن عبد الله بن

---

(١) انظر : السبعة لابن مجاهد ص : ٣٥٦ / ٣٥٧ ، والحجة لأبي علي الفارسي جـ ٥ / ١٠ ، والكشف جـ ٢ / ١٩ ، ومعاني القرآن للأخفش الأوسط جـ ٢ / ٣٦٩ ، والإقناع في القراءات السبع ص : ٤١٥ ، والكنز في القراءات العشر ص : ١٧٩ ، والنشر في القراءات العشر جـ ٢ / ٢٩٧ ، وإتحاف فضلاء البشر جـ ٢ / ١٦٠ ، والكشاف جـ ٢ / ٥١٣ ، وقراءة الكسائي ص : ٧٧ ، والدر المصون ج٤/٢٢٦ .

محمد بن عقيل ، عن جابر بن عبد الله ، رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول لعلي : يا عليّ الناس من شجر شتى ، وأنا وأنت من شجرة واحدة ، ثم قرأ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : "وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد" . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد . ولم يخرجاه[٢].قال الذهبي : والله هارون هالك . قلت : إسناده ضعيف ، لأن فيه هارون بن حاتم أبو بشر الكوفي البزاز ، مقرئ مشهور ، ضعفوه ، سئل عنه أبو حاتم فقال : أسأل الله السلامة ، وقال مطين : مات سنة تسع وأربعين ومائتين [٣] .

التوجيه والتفسير : حجة من قرأ "يُسْقِى بماء واحد" بالياء على التذكير ، أي على تذكير ما ذكر المضمر ، أي يسقى ما ذكرنا بماء واحد ، وقال الأخفش : إلا أن بعضهم قرأها "يُسْقَى بماء واحد" فجعله على الأعناب ، كما ذكر الأنعام فقال : " مما في بطونه " [سورة النحل / ٦٦] ثم أنّث بعدُ فقال : " وعليها وعلى الفلك تُحملون " [سورة المؤمنون / ٢٢] ، فمن قال : " يسقى بماء واحد " بالياء ، جعل الأعناب مما يؤنّث ويذكّر ، مثل الأنعام . وحجة من قرأ " تُسْقى " بالتاء أنّثوا حملاً على الأشياء التي ذكرت ، فهي مؤنثة ، فأنّث لذلك ، ويقوّي ذلك أن بعده " بعضها " على التأنيث ولم يقل " بعضه " . ولذلك قال الأخفش : فهذا التأنيث على الجنّات ، وإن

---

(٢) أخرجه الحاكم في : كتاب التفسير، باب قراءات النبي ، صلى الله عليه وسلم، مما لم يخرجاه وقد صح سنده جـ ٢ / ٢٤١ .

(٣) انظر ترجمته في : غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري جـ ٢ / ٣٤٥ / ٣٤٦ .وميزان الاعتدال ج١/٤٠٧/٤٠٨ ، والضعفاء والمتروكين للنسائي ص : ٢٤٣رقم ٦٤٣ ، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ج٢/١٦٩ رقم ٣٥٦٢.

شئت على الأعناب ، لأن الأعناب جماعة من غير الإنس ، فهي مؤنّثة [٤] . وقد رجح الألوسي قراءة " يسقى " وهي رسم المصحف فقال " يسقى " أي ما ذكر من القطع ، والجنات ، والزرع ، والنخل ، وقرأ أكثر السبعة بالتأنيث مراعاة للفظ ، وهي قراءة الحسن ، وأبي جعفر ، قيل : والأول أوفق بمقام بيان اتحاد الكل في حالة السقي [٥] .

٤٥ - قوله تعالى ﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ ﴾

القراءة : اختلف القُرّاء في الياء والنون من قوله تعالى " وَنُفَضِّلُ " فقرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو "وَنُفَضِّلُ" بالنون . وقرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف " ويُفَضِّلُ " بالياء من تحت مكسورة الضاد ، ووافقهم ابن محيصن ، والأعمش . وقال الزمخشري : "وَنُفَضِّلُ" بالنون ، والياء ، على البناء للفاعل والمفعول جميعاً . وقال الألوسي : وقرأ حمزة ، والكسائي " يفضل " بالياء على بناء الفاعل رداً على " يدبر " و " يفصل " و "يغشى " . وقرأ يحيى بن يعمر وهو أول من نقط المصحف ، وأبو حيوة ، والحلبي عن عبد الوارث بالياء بناء المفعول ، ورفع " بعضها " وفيه ما لا يخفى من الفخامة والدلالة على أن عدم استناد الفعل إلى فاعل آخر مغن عن بناء الفعل للفاعل [٦] . وقد رُوي أن

---

(٤) انظر : الكشف جـ ٢ / ١٩ ، ومعاني القرآن للأخفش الأوسط جـ ٢ / ٣٦٩ ، وإتحاف فضلاء البشر جـ ٢ / ١٦٠ .

(٥) انظر : روح المعاني للألوسي جـ ٨ / ٤٢٣ .

(٦) انظر : السبعة لابن مجاهد ص : ٣٥٦ / ٣٥٧ ، والحجة لأبي علي الفارسي جـ ٥ / ١٠ ، والكشف جـ ٢ / ١٩ ، وإعراب القراءات الشواذ جـ ١ / ٧٢٣ ، والكنز في القراءات العشر ص : ١٧٩ ،

النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ " ونفضل " بالنون . فقد روى الحاكم في مستدركه فقال : أخبرني أبو بكر أحمد بن سلمان الفقيه ببغداد ، ثنا العلاء بن هلال الرقى ، ثنا أبي ، ثنا عبيد الله بن عمرو الرقي ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، "ونفضل بعضها على بعض في الأكل" . وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[٧]. ووافقه الذهبي : قلت : إسناده ضعيف لأن فيه العلاء بن هلال أبو محمد الرقى ، ضعفه أبو حاتم ، وقال ابن حجر : فيه لين . وقال ابن حبان : يقلب الأسانيد ويغيّر الأسماء لا يجوز الاحتجاج به بحال [٨].

التوجيه والتفسير : حجة من قرأ "يُفَضِّلُ" بالياء ، على الإخبار عن الله جل ذكره ، بذلك على لفظ الغائب ، لأنه هو فاعل الأفاعيل كلها ، وأيضاً فإن قبله في أول السورة " وهو الذي مدّ الأرض " [الآية / ٣] وفَعلَ وفَعلَ ، فأتى بلفظ الغائب في " ويفضل " على ما قبله في الغيبة . وأما من قرأ " ونُفَضِّل " بالنون على الإخبار ، من الله جل ذكره ، عن نفسه ، وكلا القراءتين ترجع إلى معنى ، والنون هو الاختيار ، لأن الأكثر عليه [٩] .

والكشاف جـ ٢ / ٥١٣ ، والإقناع في القراءات السبع ص : ٤١٥ ، والنشر في القراءات العشر ص : ٢٩٧ ، وروح المعاني للألوسي جـ ٨ / ٤٢٣ / ٤٢٤ ، وإتحاف فضلاء البشر جـ ٢ / ١٦٠ .

(٧) أخرجه الحاكم في : كتاب التفسير ، باب قراءات النبي ، صلى الله عليه وسلم ، مما يخرجاه وقد صح سنده جـ ٢ / ٢٤١ .

(٨)انظر : تقريب التهذيب ج١/ ٩٤، وخلاصة تهذيب الكمال ص : ٣٠٠. والضعفاء والمتروكين للنسائي ص: ١٨١ رقم ٤٥٩ . والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ج٢/ ١٨٩ رقم ٢٣٥١.

(٩) انظر : الكشف جـ ٢ / ١٩ ، والحجة لأبي علي الفارسي جـ ٥ / ١٠ .

٤٦ - قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾

القراءة : قراءة العامة " ومَنْ عنده علم الكتاب " على فتح الميم من " مَنْ " . والدال من " عِنْدَهُ " . وروى ابن خالويه ، وابن جني ، وابن جرير الطبري ، والزمخشري ، وأبو حيان ، وابن عطيه ، والقرطبي ، والفخر الرازي ، وغيرهم . بأن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وعلي ، وابن عباس ، وأُبيّ ، رضي الله عنهم ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومجاهد – بخلاف - ، والضحاك ، وعبد الرحمن بن أبي بكرة ، وابن أبي إسحاق ، والحكم بن عُتيبة ، ورُويت عن الأعمش ، أنهم قرأوا "ومِنْ عِنْدِه عِلْمُ الكتاب" بكسر الميم من " من " وخفض الدال من " عنده "[١٠] .قلت : كل هذه الروايات بكسر الميم من " من " وخفض الدال من " عنده " محذوفة الأسانيد ما عدا رواية ابن جرير الطبري فهي متصلة الإسناد ولكنها ضعيفة . قال ابن جرير الطبري: حدّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى عباد بن العوام ، عن هارون الأعور ، عن الزهري ، عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قرأ " ومِنْ عِنْدِه عِلم الكتاب " عند الله علم الكتاب [١١] .قلت : إسناده

---

(١٠) انظر : مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ص : ٧٢ ، والمحتسب جـ ١ / ٣٥٨ ، وإعراب القراءات الشواذ جـ ١ / ٧٣٠ ، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن جـ ١٣ / ٢٣١ / ٢٣٣ ، والكشاف جـ ٢ / ٥٣٦ ، وتفسير البحر المحيط جـ ٥ / ٤٠٢ ، والدر المنثور للسيوطى جـ ٤ / ١٢٩ ، والمحرر الوجيز جـ ٣ / ٣٢٠ ، وروح المعاني للألوسي جـ ٨ / ٥٦٦ ، وتفسير الفخر الرازى جـ ١٩ / ٥٥ / ٥٦ .والدر المصون ج٤/٢٤٨.

(١١) أخرجه ابن جرير الطبري في : جامع البيان عن تأويل آي القرآن جـ ١٣ / ٢٣٣ رقم .١٥٥٨٩. والدوري في جزئه ص: :١١٦ رقم ٧١ من حديث أبي عمارة ، عن أبي الفضل ، عن سليمان عن الزهري ...به . وفي ص: ١١٧ رقم ٧٢ من حديث سنيد بن داود ، عن عباد بن العوام ...به .

ضعيف ، لأن فيه هارون الأعور تركوه ، وجهالة شيخ ابن جرير الطبري ثم قال ابن جرير الطبري : وهذا الخبر ليس له أصل عند الثقات من أصحاب الزهري ، فإذا كان كذلك ، وكان قُرّاء الأمصار من أهل الحجاز ، والشام والعراق ، على القراءة الأخرى وهي : " ومَنْ عِندَهُ علم الكتاب " كان التأويل الذي عليه قُرّاء الأمصار أولى بالصواب ممن خالفه ، إذ كانت القراءة بما هم عليه مجمعون أحق بالصواب [١٢] قلت : إذن قراءة من قرأ " ومِنْ عِندِه علم الكتاب " شاذة وضعيفة ، أما شذوذها فمن ناحية مخالفتها لرسم المصحف الإمام ، وأما ضعفها فمن ناحية حذف إسنادها وضعف الآخر ، كما أن هذه القراءة لم يقرأ بها قُرّاء الأمصار من أهل الحجاز ، والشام ، والعراق ، ولم يقرأ بها القراء العشرة ، كما أن الخبر الذي رواه ابن جرير ليس له أصل عند الثقات من أصحاب الزهري ، كما أن إسناده ضعيف لجهالة القاسم شيخ ابن جرير ، وضعف هارون الأعور. وقرأ عليٌّ ، وابن السميفَع ، والحسن " ومِنْ عِندِه " بكسر الميم ، والدال ، والهاء . " عُلِمَ الكتابُ " . بضم العين وفتح الميم [١٣] . وفي الاتحاف : وعن الحسن والمطوعي " ومن عنده " جار ومجرور خبر مقدم و " علم " مبتدأ مؤخر [١٤].

التوجيه والتفسير : قال ابن جني : مَن قرأ " ومِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الكتاب " فتقديره ومعناه: مِن فضله ولطفه عِلمُ الكتاب ، ومن قرأ " ومِنْ عِندِهِ عُلِمَ الكتاب " فمعناه معنى الأول إلا أن تقدير إعرابه مخالف ، لأن من قال : ومِنْ عِندِهِ عِلْمُ الكتاب " فـ

---

(١٢) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن جـ ١٣ / ٢٣٣ .

(١٣) انظر : المحتسب جـ ١ / ٣٥٨ ، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن جـ ١٣ / ٢٣١ ، والكشاف جـ ٢ / ٥٣٦ ، وتفسير البحر المحيط جـ ٥ / ٤٠٢ ، والمحرر الوجيز جـ ٣ / ٣٢٠. والدر المصون ج٤/٢٤٨.

(١٤) انظر : إتحاف فضلاء البشر جـ ٢ / ١٦٣ .

"مِنْ" متعلقة بمحذوف ، و" عِلْمُ الكتاب " مرفوع بالابتداء كقوله تعالى " ومنهم أميون" [سورة البقرة/ ٧٨] . ومن قال " ومِنْ عِنْدِهِ عُلِم الكتاب " . فـ " مِنْ " متعلقة بنفس "عُلِم" كقولك : مِن الدار أخرج زيد " . أي أُخرج زيد من الدار ، ثم قَدّمتَ حرف الجر . وقراءة الجماعة " ومَنْ عِندَهُ عِلْمُ الكتاب " فالعلم مرفوع بنفس الظرف ، لأنه إذا جرى الظرف صلةً رفع الظاهر لإيغاله في قوة شبهة بالفعل ، كقولك مررت بالذي في الدار أخوه [١٥] . وقال أبو حيان " ومِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الكتاب " فـ " من " حرف جر وجر ما بعده ، وارتفاع " علم " على الابتداء ، والجار والمجرور في موضع الجر . والضمير في " عنده " في جميع القراءات عائد على الله ، عز وجل [١٦] . وفي الإتحاف : وعن الحسن والمطوعي " ومن عنده " جار ومجرور خبر مقدم ، و " علم " مبتدأ مؤخر ، والجمهور " مَنْ " اسم موصول ، عطف على الجلالة ، والجملة بعده صلته ، أي : كفى بالله ، وبالذي عنده إلخ ، من مؤمني أهل الكتاب ، كعبد الله بن سلام . وأما قراءة " من عنده " بالجر و " علم " بالبناء للمفعول ، و " الكتاب " رفع به ، فليس من طرق هذا الكتاب . وقال أبو البقاء : قوله تعالى : " ومَنْ عنده " يقرأ بكسرِ الميم والدال على أنه حرف جر . وفي " عِلْم " على هذا ثلاثة أوجهٍ : أحدهما : " عِلْمُ " كقراءة الجمهور ، فيكون مبتدأ و" مِنْ عنده " خبره . والثاني : يُجعل فعلاً لم يسمّ فاعله مخفّفاً ، أي عُرِف الكتاب مِنْ عِندِ الله . والثالث : كذلك إلا أنه مشدّدُ من التعليم[١٧] . قال الفخر الرازي : أما على القراءة الأولى – يعني المشهورة – ففي تفسير الآية أقوال : القول الأول : أن المراد شهادة أهل الكتاب من الذين آمنوا برسول الله صلى الله

---

(١٥) انظر : المحتسب جـ ١ / ٣٥٨ ، والكشاف جـ ٢ / ٥٣٦ ، وإعراب القراءات الشواذ جـ ١ / ٧٣٠ .

(١٦) انظر : تفسير البحر المحيط جـ ٥ / ٤٠٢ . والدر المصون ج٤/٢٤٨.

(١٧) انظر : إعراب القراءات الشواذ جـ ١ / ٧٣٠ .

عليه وسلم، عبد الله بن سلام ، وسلمان الفارسي ، وتميم الداري . القول الثاني : أراد بالكتاب القرآن . القول الثالث : المراد به : الذي حصل عنده علم التوراة والإنجيل ، يعني إن كل من كان عالماً بهذين الكتابين ، علم اشتمالهما على البشارة بمقدم محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فإذا أنصف ذلك العالم ولم يكذب كان شاهداً على أن محمداً، صلى الله عليه وسلم ، رسول حق من عند الله تعالى . القول الرابع : ومن عنده علم الكتاب ، هو الله تعالى ، وهو قول الحسن وسعيد بن جبير ، والزجاج أما القراءة الثانية : وهي قوله " ومن عنده علم الكتاب " على من الجارة . فالمعنى : ومن لدنه علم الكتاب ، لأن أحداً لا يعلم الكتاب إلا من فضله وإحسانه وتعليمه ، ثم على هذه القراءة ففيه أيضاً قراءتان : " ومن عنده علم الكتاب " والمراد العلم الذي هو ضد الجهل ، أي هذا العلم إنما حصل من عند الله . والقراءة الثالثة : " ومن عنده عُلِمَ الكتاب " بضم العين وبكسر اللام وفتح الميم ، على ما لم يسم فاعله . والمعنى : أنه تعالى لما أمر نبيه أن يحتج عليهم بشهادة الله تعالى على ما ذكرناه ، وكان لا معنى لشهادة الله تعالى على نبوته إلا إظهار القرآن على وفق دعواه ، ولا يعلم كون القرآن معجزاً إلا بعد الإحاطة بما في القرآن وأسراره ، بيّن الله تعالى ، أن هذا العلم لا يحصل إلا من عند الله . والمعنى : أن الوقوف على كون القرآن معجزاً لا يحصل إلا إذا شرف الله تعالى ذلك العبد بأن يعلمه علم القرآن[١٨] .

---

(١٨) انظر : تفسير الفخر الرازي جـ ١٩ / ٥٥ / ٥٦ .